أشرف الخمايسي: رسالة الإبداع المثلى محو عذابات الإنسان

«خروف وكلب» رواية تكشف خفايا الصراع بين العقل والقوة

على الأديب أن يتفاعل مع ما يرى

لكل كاتب طريقه الذي يختاره، وطريقته التي يخط بها أدبه أو حياته، ولعل الكتّاب الأكثر تأثيرا هم أولئك الذين خرجوا عن الصورة النمطية للكاتب، وخرجوا عن دائرة علاقات الشلل والمجاملات، فلا هم مع هذا ولا هم ضد ذاك، متحررون لا يمثلون سوى أنفسهم وقناعاتهم. ومن هؤلاء الأديب المصري أشرف الخمايسي، الذي كان لـ"العرب" معه هذا الحوار حول آخر رواياته.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

لا يُمكن للمبدعين الصمت على أوجاع الإنسان في رحلته المحدودة على الأرض، فليست مُهمة الأدب الإلهاء والتسلية فحسب، وإنما رسالة الأديب المُثلى مقاومة عذابات الإنسان، والجأر بشكواه ضد الخوف والقهر والظلم.

تلك رسالة أساسية يعتبرها أشرف الخمايسي دافعا للكتابة، وقد سعى إلى الجهر بها في رواية غريبة، غير تقليدية، سيُصدرها قريبا عن دار "إيبيدي" للنشر وتحمل عنوان "خروف وكلب".

مشروع إبداعي

يقول الأديب المصري لـ"العرب" إن حرصه على الدفاع عن وجود الإنسان ورفض القهر كان وراء كتابته أحدث رواياته، وتحاول إعادة الاعتبار إلى حرية الإنسان وحقه في الاختيار والقبول والرفض بعيدا عن فكرة القطيع، وتعرض جانبا من الصراع الأزلي الدائر بين سلطة العقل وسلطة القوة.

واعتزل الخمايسي الكتابة الأدبية فجأة عام 2000 وطال اعتزاله لأكثر من عشر سنوات، بعد أن انضم إلى إحدى الحركات السلفية خصاما للمثقفين، ثم عاد إلى الإبداع مرة أخرى لينشر في 2011 مجموعته القصصية "الفرس ليس حرا".

> الحرص على الدفاع عن وجود الإنسان ورفض القهر كان دافعا لأشرف الخمايسي ليكتب أحدث رواياته بشخصيات حيوانية

وفي 2013 نشر رواية "منافي الرب"، ويعتبرها النقاد أهم إبداعاته ووصلت الرواية إلى القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام 2014. وفي العام ذاته، أصدر رواية "انحراف حاد" ووصلت كذلك إلى القائمة الطويلة للبوكر.

يدور المشروع الإبداعي للخمايسي عن ثنائية الخلود والموت، وحاولت روايته السابقة، باستثناء "جو العظيم"، طرح فكرة سعي الإنسان الدائم للإفلات من الموت والبحث عن الخلود.

تُمثل الرواية الجديدة "خروف وكلب" خروجا عن المشروع الإبداعي للخمايسي، الذي سبق وأكد أنه يحاول من خلاله الانتصار على الموت.

ويكشف الخمايسي في حواره مع "العرب" أسباب خروج هذه الرواية عن مسار مشروعه الإبداعي قائلا "لقد شعرت أن الأديب يجب أن يكون له موقف في ما يعايشه من واقع موجع، لقد كان الاستغراق في فكرة مقاومة الموت يغريني، بسبب ميلادي ونشأتي في مدينة المعابد الخالدة؛ الأقصر، لكن انتقلت إلى القاهرة منذ سنوات، حيث استقر بي المقام وتابعت وعايشت مواقف ومشاهد كانت غريبة بالنسبة لي، فوجهت رأسي إلى ناحية عذابات الإنسان الكبرى".

حسب رأيه، على الأديب أن يتفاعل مع ما يرى، ويكون له موقف فني وإبداعي مما يحدث حوله، "أصحاب فكرة الفن للفن أنفسهم، يرون أنهم مطالبون بالتعبير في الحقيقة عن موقف ما تجاه القبح". ويلفت إلى أن الأديب الراحل نجيب محفوظ استمد خلوده كمبدع من مواقفه السياسية الشجاعة ضد الدكتاتورية والقمع من خلال الفن المنطلق من فكرة الحرية، "لقد تكلم عندما صمت الناس، ورفض الاستبداد والتسلط على الجماهير، وظهر ذلك بقوة في الكثير من أعماله".

خص الخمايسي "العرب" بتفاصيل روايته الجديدة التي ما زالت في المطبعة، موضحا أنها تدور في إطار حيواني متكامل باستثناء راع يُدعى الحاج يونس. وتتلخص في أن الحاج يونس يعيش في صحراء غريبة بعيدا تماما عن البشر، ومعه قطيع من الماشية وبعض كلاب الحراسة، وعندما يشعر باقتراب أجله يفكر في من يختاره للقيام بدور الراعي بدلا منه.

وفي إحدى الليالي يهجم ذئب مفترس على المرعى، ويكون كلب الحراسة مريضا ونائما، لكن الخروف البطل يُقرر التصدي للذئب ويخرج ناطحا إياه بشجاعة تدفعه إلى الهرب، لذا يُقرر الحاج يونس اختيار الخروف ليحل مكانه بعد وفاته.

ورغم ذكاء الخروف، وتعقله وأنفته، فإن الكلب يعتبر نفسه أفضل منه لأنه المسؤول عن الحراسة، وهو رمز القوة. ويرفض الكلب اعتبار الخروف قائدا للمرعى، ويبدأ في جمع الكلاب الضالة ضده، وتخويف قطعان المرعى من هجمات محتملة للحيوانات المفترسة، وتحاول الرواية تقديم جانب آخر للسمات الحيوانية المغلوطة، والتي تجعل الكلب مفضلا عن الخروف.

أديب مختلف

يكشف الروائي المصري أنه استفاد في روايته من عمله لعدة سنوات، خلال تغريبته الاختيارية عند هجرانه للأدب، كراعي غنم في صعيد مصر الحار، ولمس بصدق خلال تلك السنوات نبل الخرفان واعتزازها بذاتها ورومانسيتها وشجاعتها.

ويتابع قائلا "لا يوجد قانون كوني مطلق يقول إن الكلب أفضل من الخروف، فالخروف يبعث بمنظره البهجة والسرور، وأنثاه تجلب اللبن، لكن الكلب موصوم بالخضوع والدنو في الكثير من الآداب العربية".

ويؤكد أشرف الخمايسي أن الرواية لم تستوح أحداثها من رواية "مزرعة الحيوانات" للأديب العالمي جورج أورويل، كما يتصور البعض، وإنما هي فكرة نابعة تماما من الخيال، لكنها تتشابه في رمزيتها مع قصص "كليلة ودمنة" للأديب الهندي بيدبا، والتي نقلها إلى اللغة العربية عبدالله بن المقفع في القرن الثاني الهجري.

يوضح الخمايسي لـ"العرب" أن كتابة الرواية استغرقت سنة كاملة، وفكرتها زارته فجأة وهو منهمك في كتابة رواية بعنوان "نواضح يثرب" تتناول قصة النبي محمد (ص) بشكل فلسفي جديد، ولمعت الفكرة أمامه وهو يتصور أن الشر ليس شرا مطلقا، ما دفعه إلى إيقاف عمله الأدبي تماما، والاستغراق في العمل الجديد.

إذا كانت الرواية الأحدث نقلة نوعية في مشروع أشرف الخمايسي، الذي وصفه الروائي إبراهيم عبدالمجيد في إحدى الندوات الأدبية في القاهرة، بأنه رب السرد في الأدب المصري الحديث، فإنه لا ينفك عن فكرة الانتصار للوجود الإنساني بتعدده وتنوعه.

وإذا كان الرجل مرّ في الماضي بتجربة انخراط في التطرف من خلال الانضمام إلى الحركة السلفية كنوع من الاحتجاج على تعالي المثقفين عن قضايا الإنسان، فإنه يرى أنه استفاد من التجربة بمعايشة أناس آخرين يمثلون أحد أوجه الإنسان.

ويؤكد أن السلفي ليس هو صاحب اللحية والجلباب، والمتجهم تجاه الناس، الذي يرى الآخرين كفارا ويحتقر المرأة فقط، فالسلفة الحقيقية هي الحياة الفطرية، والانخلاع عن الماديات والارتداد إلى الطبيعة البكر".

يقول الخمايسي "التحيز للإنسان أولا وأخيرا هو الباعث على الانتقال من فكرة إلى فكرة، مكررا أنه على استعداد للدفاع عن أي وجود بشري مهما كانت معتقداته لأن الإنسانية نابعة من أصل واحد".

وأكد أن "الإبداع خالد وغير قابل للقمع والقهر كما يتصور البعض، ويعتقد أن التيار الديني في العالم العربي الذي يرى أنه قادر على تقييد المبدع واهم، لأن طاقة الإبداع غير محدودة، والمبدع كائن عملاق، بينما الأصولي رجل هش لديه فكرة واحدة ووحيدة".

الخمايسي متزوج ولديه أبناء أكبرهم يبلغ 23 عاما، ويعمل في مجلة الثقافة الجديدة، وهو أحد الروائيين القلائل في مصر الذي يقول إنه يعيش من الأدب، بسبب جمهوره الكبير.

ويمثل الخمايسي نموذجا مختلفا عن الكثير من الأدباء في تعاليه على المؤسسات الرسمية وتعدد آرائه النقدية اللاذعة التي يبثها عبر صفحته على فيسبوك، أو عبر حواراته المحدودة مع وسائل الإعلام.

يأخذ البعض على الرجل صداماته المتعددة في الوسط الأدبي وإصراره على رفض المجاملات الأدبية، ويطرح آراءه بصراحة وصدق حتى في أصدقائه، ويضعه ذلك في مرمى هجوم جيل الوسط والشباب من الأدباء.

يذكر الخمايسي أنه كون رؤاه الفكرية والأدبية، وطور أساليبه اللغوية من خلال قراءة الكثير من كُتب التراث العربي والغربي، مثل كتب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، و"كليلة ودمنة"، "الحيوان" للجاحظ، و"الكوميديا الإلهية" لدانتي، فضلا عن أعمال الرواد الكبار، مثل ديستوفسكي، مكسيم غوركي، تشارلز ديكنز، وإرنست هيمنغواي، وأعمال رواد الأدب الحديث مثل غابرييل غارسيا ماركيز، إيزابيل الليندي، وباولو كويلهو.

العرب يقدمون تراثهم في سوق عكاظ

الطائف (السعودية) – يستضيف مهرجان سوق عكاظ في نسخته الثالثة عشرة 11 بلدا عربيا، تشارك بموروثها الثقافي والاجتماعي ضمن "حي العرب" الذي يضم أجنحة لدول أبرزها الإمارات ومصر والبحرين والكويت وسلطنة عمان والأردن ولبنان وتونس والمغرب.

ويُعَد "حي العرب" إحدى الزوايا المبتكرة هذا العام في سوق عكاظ الشهير، الذي ينطلق من خلال "موسم الطائف" في مطلع أغسطس المقبل، إضافة إلى العديد من الأجنحة والزوايا والفعاليات المميزة في السوق، التي تُقدّم بطابع يرسخ قيمة مصيف العرب مدينة الطائف تاريخيا، ويسلط الضوء على عمقها وتنوعها الثقافي والتاريخي.

وتشارك السعودية في المهرجان بأكبر الأجنحة مساحة تصل إلى 6 آلاف متر مربع، حيث يضم بين جنباته مجموعة كبيرة من المعروضات التي تعكس المخزون الثقافي والتاريخي الكبير المتنوع لمناطق المملكة المختلفة.

ويضم "حي العرب" منصة للعروض المباشرة، ومتاحف، ومعرضا للفنون التشكيلية والفوتوغرافية، ومكتبة، وساحة ثقافية مفتوحة، وقاعات لورشات عمل، ومجموعة كبيرة من المحال التجارية والمطاعم والمقاهي الأدبية.

وينقل "حي العرب" زوار سوق عكاظ الـ13 إلى عواصم الدول العربية المشاركة في رحلة ثرية عبر أجنحتها التاريخية والثقافية، وأسواقها الشعبية الشهيرة ومنتوجاتها الفريدة، إضافة إلى عيش تجربة أجواء المطاعم والمقاهي في تلك الدول. وتسعى الدول العربية المشاركة في سوق عكاظ الـ13، لإبراز الجانب الثقافي والحضاري لكل دولة، من خلال الطابع المعماري لكل جناح، والمجسمات والأسواق والمحال التي تحاكي مثيلاتها في عواصم الدول العربية المشاركة.

وتعرض في زوايا وشوارع كل جناح المنتوجات المميزة لكل دولة إضافة إلى أشهر المطاعم التي تحمل بصمتها الخاصة، والمقاهي الشهيرة وغيرها.

> الدول العربية المشاركة في سوق عكاظ الـ13 تسعى لإبراز الجانب الثقافي والحضاري لها من خلال أجنحة خاصة

ونذكر أن مهرجان سوق عكاظ يتضمن العديد من الفعاليات، ومنها: قوافل الإبل، والخيول العربيّة، وفعاليات، والمعلقات الشعريّة، وعروض اللوحات، وعروض التصوير وغيرها.

فن الملحون المغربي ينتقل من جيل إلى جيل

فاس (المغرب) – اختتمت أخيرا بحديقة جنان السبيل التاريخية بفاس النسخة السابعة عشرة من المهرجان الوطني لفن الملحون الذي تنظمه سنويا جماعة فاس.

وأحيت "مجموعة أشياخ الملحون بفاس" الحفل الختامي للمهرجان المنظم تحت شعار "الملحون وآفاق المستقبل"، حيث أدت خمسة قصائد تراثية هي "شايق نشوفك، المزيان، الدمليج، العين الحرشة، فاطمة"، وقد تفاعل معها جمهور المهرجان بشكل كبير.

وتميز الحفل الختامي بمشاركة شيوخ فن الملحون بالعاصمة إلى جانب تلاميذهم الذين حملوا المشعل عنهم في استمرار لفن الملحون، حيث تمكنوا ببراعة من نظم وإنشاد وأداء مجموعة من القصائد الغنائية الملحونية التي نهلت من التراث المغربي الأصيل.

وتمكن المهرجان الوطني لفن الملحون هذه السنة، من استقطاب جمهور غفير تابع مختلف فقراته وذلك منذ افتتاحه في 20 يوليو الجاري.

وعرف المهرجان مشاركة مجموعة من الأجواق من مدينة فاس بالإضافة إلى مدن مراكش والرباط ومكناس وأرفود، كما توزعت سهراته الكبرى على المقاطعات التابعة لجماعة فاس، بغية تقريبه من الجمهور.

وعرف المهرجان تنظيم ندوة وطنية تطرقت إلى موضوع "التراث المغربي والمستقبل"، شارك فيها خبراء وباحثون في مجال التراث، تناولوا عددا من المحاور وخاصة المتعلقة بملف ترشيح تراث الملحون لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو، باعتباره تراثا إنسانيا عالميا يعود تاريخه إلى أكثر من خمسة قرون. وشدد المشاركون في الندوة على أهمية الملحون الذي يعتبر من الفنون التراثية المغربية العريقة، ويتميز باستمراريته من خلال قابليته للتجدد والمواكبة، بالإضافة إلى أنه استطاع التفاعل مع فنون شعبية تراثية أخرى، كما دخل إلى مجال البحث الجامعي عبر النقد والدراسة من خلال اهتمامات مجموعة من الباحثين بموضوع الملحون.

ويعتبر فن الملحون أحد التعبيرات الفنية الراقية التي أحبها وتفاعل معها المغاربة، حيث أبدعوا فيها الأشعار الرائعة والألحان المطربة على مدى أكثر من خمسة قرون، وكانت فاس العاصمة العلمية للمغرب ولا تزال مهدا للعلم، وحاضنة لكل تراث عريق وفن جميل، وملتقى لعشاق ألوان التعبير المغربي الراقي.

وراهنت إدارة مهرجان فن الملحون في الدورة السابعة عشرة، على قدرة الفنون الأصيلة على البقاء والصمود في وجه العولمة ومنافسة الفنون الواردة، والتكيف مع مستجدات الثقافة الإنسانية والاندماج فيها مع الحفاظ على الثوابت الأصيلة والقواعد الأساسية.

فن مغربي عمره خمسة قرون